أروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي في لقاء مع "الثورة":

الموروث الشعبي تطاله أيادي العبث والإهمال

التراث الشعبي والثقافي جزء من تكوين المجتمع وعاداته وتقاليده في أي بلد، واليمن تتمتع بتراث ثقافي وموروث شعبي على مر العصور كواحدة من أهم بلدان الحضارة في العالم.. هذا الموروث الشعبي المتأصل والذي يمتاز بتنوعه الثقافي ظلت تتناقله الأجيال وتتغنى به جيلا بعد آخر.. لكنه اليوم يتعرض للإهمال والنسيان، وهو في طريقه للاندثار بفعل تأثيرات الحياة العصرية التي طغت على كل شيء باستثناءات تكاد تكون نادرة بالذين يسعون للحفاظ على هذا التراث وممارسة طقوسه.

الأخت أروى عبده عثمان المعروفة بحبها وولعها بالموروث الشبعي والروايات والحكايات الشبعية تخوض تجربة شخصية في هذا المضمار كجانب من مشاركة المجتمع المدني في جهود الحفاظ على المورث الشعبي باعتباره جزءاً من تاريخ وحضارة الإنسان اليمني على مر العصور.. ولم يقتصر دورها عند هذا الجانب بل إنها حولت منزلها إلى بيت للموروث الشعبي قبل أن تسعى لتأسيس بيت خاص بهذا الموروث.

"الثورة" التقتها في بيت الموروث الشعبي وأجرت معها هذا اللقاء:

■ أزياء يمنية من مختلف المناطق

التراث الشعبي جزءٌ من الهوية الثقافية للمجتمع

لقاء/ افتكار القاضي

● كيف جاءت فكرة تأسيس بيت الموروث الشعبي؟

– فكرة تأسيس بيت الموروث الشعبي كان حلما سبقته تراكمات كثيرة جدا منها الاستياء العام والاستياء الشخصي بدرجة كبيرة لأنني كنت أحب هذا الموروث ومستاءة من الإهمال الذي يتعرض له، وعدم الاهتمام به من قل الجهات المختصة بالإضافة إلى الإهمال الشعبي نفسه، فالناس لم يعودوا يهتمون بموروثهم ويحافظون عليه، مع أنهم يمارسون الكثير من طقوسه، حيث طغت الحداثة على كل شيء، وأصبح الاعتقاد السائد أن الأشياء القديمة مهما كان جمالها لم يعد لها قيمة في عالم اليوم.

وأسف لأن الناس لم يفهموا الحداثة بمعناها الحقيقي والمنظم، وأن هناك عشوائية وخلطاً دون وجود أي تجانس منطقي لهذا المفهوم، فهم يعيشون في عالم آخر من خلال لبسهم وأكلهم وشربهم ومسكنهم وممارستهم للحياة بشكل خليط فلا هو بالحديث ولا بالتقليدي.. كل ذلك أفرز نوعاً من التفكير والثقافة السائدة في المجتمع مثل المباني التي أبدع في تشكيلاتها وصياغتها الآباء والأجداد، لياتي الأبناء يهدمون ذلك الجمال الناطق في محتواه وتشكيله الفني البديع، ويشيدون بدلا منه مباني جديدة بالخرسانة المسلحة الصماء، فهناك مبان مضى عليها أكثر من خمسمائة سنة يتم تدميرها والاستعاضة عنها بمبانٍ حديثة، ولم يقتصر ذلك على البيوت فحسب بل وصل الأمر إلى المساجد والحصون والقلاع القديمة التي كان كل شيء فيها ناطقاً، وهذا كان يؤلمني كثيراً.

بدايات الاهتمام

● ما هو سر عشقك للتراث الشعبي؟

– أنا ابنة بيئة شعبية ومن أسرة فلاحة عاشت في مدينة تعز في حارة يطلق عليها (سوق الصميل)، وكان النساء يأتين إلى هذا السوق من كل مكان لغرض الاسترزاق من خلال بيع ما صنعنه في بيوتهن وكن يرتدين الملابس التقليدية كل حسب عاداته وتقاليده، وكان هذا السوق يمثل كرنفالاً جمالياً غاية في الروعة، وكنت حينها لا أزال صغيرة، لكنني كنت أحتفظ بأشياء كثيرة في الذاكرة كما كانت تاتي فرق شعبية لإلقاء الأناشيد وقصائد المديح والموالد النبوية (رجال ونساء).. النساء يرقصن رقصات شعبية جميلة وعليهن تلك الملابس المطرزة الناطقة بالحياة، والرجال (يزمرون ويرقصون ويدقون الطبول)، لكن بعد ذلك بدأت تختفي الكثير من هذه المعالم، كما بدأت معالم السوق تتغير، وكانت جدتي حينها مخزناً هائلاً من الحكايات والروايات الشعبية، بل إنها كانت موسوعة ابداعية متنوعة تسرد عليّ الحكايات والأساطير الشعبية.. لكنها ماتت دون أن يكتمل النص لدي، فأحسست أنني فقدت أشياء كثيرة، وشعرت أن جزءاً من تاريخي وثقافتي مات كما ماتت الكثير من القيم النبيلة.

خيبة أمل

– ومن هنا بدأت أكرس كل اهتمامي بالموروث الشعبي، وأذكر أن والدي كان يعطيني خمسين ريالا كمصروف للمدرسة وكنت أشتري بجزء منه أشياء تراثية كالفضة والملابس وغيرها وأجمعها في غرفتي الخاصة وكنت أتزين بها في المناسبات، حتى أصبح ذلك جزءا من شخصيتي، بعد ذلك بدأت أكتب الحكايات الشعبية التي كانت ترويها لي جدتي في الصحف الثقافية، وكنت أتنقل بين المناطق والقرى البعيدة في المحافظات وألتقي بشيوخ ونساء عجائز ليروون لي عادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم وكنت أنشرها في الصحف..

بعدها جاءت فكرة إعداد برنامج تلفزيوني عن الموروث الشعبي وتم اختياري لإعداد هذا البرنامج، وسافرت مع طاقم العمل إلى عدد من المحافظات للبدء بعملية التصوير، وبدلا من أن أتفرغ لإعداد البرنامج كنت أذهب لاستكمال معاملة المستلزمات المتعلقة بطاقم العمل وببدل السفر وغيرها من متطلبات العمل، وكان الوقت وخصوصا المرتبط بطقس معين يستدعي تواجدنا فيه للتصوير يمر دون أن نبدأ بالتصوير بسبب روتين المعاملة القاتل، فأحسست بخيبة أمل كبيرة وصدمت كثيرا، وكل ما كنت قد أعددته ذهب أدراج الرياح ولم يتم إذاعة أية حلقة منه، ويوجد أكثر من تسعين شريطا (خام) في مكتبة التلفزيون مهملا ومرميا بين الأتربة والغبار، البعض منها قد انتهى بسبب سوء الحفظ والتخزين.

بعدها اتجهت لجمع المؤلفات والكتب التي لها علاقة بالموروث الشعبي، بالإضافة إلى الصحف التي كانت تهتم بهذا الجانب، وكونت لي مكتبة في بيتي كنت أنهل منها عند الكتابة، لكنني كنت بحاجة إلى التطبيق العملي لما كنت أقرأه، ولم يقتصر اهتمامي بالموروث على جمع الكتب فقط بل وكل ماله علاقة بالموروث الشعبي منذ أكثر من خمسة عشر عاما.

– حبي للتراث وعشقي له جعلني أبيع قطعة الأرض الخاصة بي وأصرف عائدها على جمع التراث، كما أنني أنفقت ثمن الجائزة التي حصلت عليها من مهرجان الشارقة لصالح بيت الموروث الشعبي.

جمع وتدوين

● على ماذا كنت تركزين أثناء سفرك إلى المدن والمناطق اليمنية؟

– كنت أركز بشكل رئيسي على توثيق عادات الزواج والرقصات الشعبية والختان والملابس وبناء العشش وأغاني الطحين والمهاجل النسائية أثناء الحصاد، وأسجل مدى الاختلاف والتشابة في هذه العادات من منطقة لأخرى، وكنت أقضي أشهرا بعيداً عن أهلي لجمع وتدوين هذا التراث الشعبي وكنت أعاني وأتعب كثيرا لدرجة أنني كنت أنام أحيانا بين العقارب والحيات والزواحف المختلفة، بالإضافة إلى (الكتان والقمل)، حتى الأكل كنت آكله أحيانا مختلطا بالحشرات وأشرب الماء الملوث مضطرة لذلك حتى أحصل على المعلومات التي أريدها.

أهداف طموحة

● أنشأت بيتا للموروث الشعبي.. فما هي أهداف واستراتيجية هذا البيت؟

– بادرت إلى إنشاء بيت للموروث الشعبي كمتحف للبحث جمعت فيه كل الأشياء التي بدأت تندثر ووثقتها بطريقة منهجية، ويهدف البيت للحفاظ على الهوية الوطنية المتجسدة في الموروث الشعبي باعتباره مخزونا وذاكرة لتجارب الشعوب بالإضافة إلى حماية هذا التراث من الاندثار والنسيان والعبث والتشوهات التي تطاله بشكل مستمر، كما يهدف البيت إلى ايجاد قاعدة معلوماتية وتصنيفية علمية لمكونات الموروث الشعبي، وجعلها في متناول الباحثين والمهتمين، بالإضافة إلى استخراج الإمكانات الكامنة في الموروث الشعبي وسبل الاستفادة منها في إثراء المسار التنموي للبلاد ورفع مستوى الوعي الشعبي بأهمية هذا الموروث، من خلال اعداد الكوادر القادرة على التعامل مع قضاياه واشكالياته. ويعتبر البيت مكاناً ثقافياً مفتوحاً على الآخر من خلال مقهى شعبي يجمع خليطاً من المثقفين يوماً في الأسبوع لغرض الحوار والنقاش في كل ما هو هادف ومفيد.

● ما هي مكونات ومحتويات بيت الموروث الشعبي؟

– يتكون بيت الموروث الشعبي من مكتبة فلكلورية كنواة لمكتبة كبيرة مستقبلا وإلى إدارة فنية لتحريك مشاريع البيت، ووحدة للجمع والتدوين والتوثيق بالإضافة إلى المطبخ الشعبي.

التراث الشفهي

● لماذا تركزين على جمع التراث الشفهي بشكل رئيسي؟

– التراث الشفهي أكثر سرعة في الانقراض من التراث المادي لأن الأقوال والتعابير تموت بموت صاحبها، وحاليا أركز على التراث الشفهي لهذا السبب، حيث أقوم بتدوين كل الحكايات والروايات والأساطير والقصص والتقاليد والنكت والأغاني والرقصات الشعبية وغيرها.

وهذا العام سأقوم بإصدار كتاب عن الحكايات الشعبية متضمنا سبعين حكاية متنوعة جمعتها منذ عشر سنوات، وأعمل على إصدار مجلة اسمها (ذاكرة الآتي) متخصصة بهذا الجانب.

المرأة

● أيهما أكثر محافظة على التراث الشعبي المرأة أم الرجل؟

– المرأة أكثر محافظة على التراث من الرجل لأنها ليست مغتربة بعكس الرجل الذي ينسيه الاغتراب والهجرة الكثير من عاداته وتقاليده. أما المرأة فتظل مخزوناً للموروث الشعبي والثقافي وهي المحركة له، يليها الفئات المهمشة في المجتمع (الأخدام) والتي لا زالت محافظة على موروثها الشعبي وتمارس طقوسه بشكل مستمر.

وأشير هنا إلى أن الأجانب مهتمون بتراثنا أكثر منا.

المدرهة

● أقمتم مؤخرا مهرجان (المدرهة).. ما أصل ومضمون هذا المهرجان وعلاقته بالموروث الشعبي؟

– مهرجان المدرهة هو عبارة عن أرجوحة كانت تقام ضمن التقاليد الشعبية في اليمن وكانت تقام قديما أثناء توديع واستقبال الحجيج الذين يذهبون لأداء مناسك الحج حيث كانت الرحلة تستغرق أشهرا، فيقوم أهل الحاج بعمل المدرهة لتوديعه واستقباله، ويتم خلالها التغني وممارسة الكثير من الطقوس الشعبية (ابتهالات – تغاريد – اهازيج) وكلها تحمل اللوعة والشجن لفراق الحاج كما تحمل الفرح والسرور لعودته، ويستمر عمل المدرهة منذ تهيئة الحاج للسفر وحتى عودته، وقد انقرضت هذه العادة منذ زمن، وأردت بعمل هذا المهرجان إحياء هذه العادة الشعبية كجزء من التراث الشعبي.

● بماذا تطمحين مستقبلا؟

– أطمح أن يكون هناك نوع من الاهتمام بهذا الموروث الأصيل من قبل الدولة والحفاظ عليه، وأتمنى أن يطور هذا البيت ليصبح مؤسسة تراثية كبيرة في المستقبل.

تصوير/ عبد الله حويس

▫ الأجانب مهتمون بتراثنا أكثر منا
▫ بيت الموروث متحف للحفاظ على الهوية الوطنية

■ مطبخ يمني قديم من محتويات بيت الموروث

تأملات

محمد العريقي

شرأعمالها

● ما بني على باطل فهو باطل.. والمستوطنات التي أنشأتها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية وبالذات في الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧م تعتبر في نظر المجتمع الدولي غير شرعية.. ولكن من يُفهم إسرائيل، فقد تعودت على (الدلع والتدليل) ووجدت قوة عظمى تدافع وتمرر كل خطاياها وأخطائها وتبطش بكل من يفسد أو يعرقل أطماعها.

● اليوم تصبح المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة ليست حالة شاذة في قلب الوطن الفلسطيني بل عبئاً ثقيلاً على الأمن الإسرائيلي نفسه.

● فعندما انهكت إسرائيل اقتصادياً وأمنياً واجتماعياً أمام المقاومة الفلسطينية في غزة والضفة رأت أن الاستنزاف يكلفها الكثير وأن التماس اليومي بالشارع الفلسطيني وتصرفاتها العدوانية الرعناء وترسخ القناعة العالمية بضرورة التوصل إلى حل للصراع أطال الأمد أم قصر كل ذلك جعل شارون يعلن عن خطة للفصل من جانب واحد، تقضي بسحب جيشه من قطاع غزة.. ويعني ذلك عليه الرحيل بمخلفاته وفي مقدمة ذلك المستوطنات والمستوطنين الذين جلبهم من كل بقاع الأرض.

● وكلما اقترب التنفيذ شعر بحجم الفخ الذي وضعه هو وقاداته السابقين لإسرائيل وهو فخ المستوطنات..

● فخطته الآن تصطدم بالمستوطنات التي شجع على إنشائها عندما كان وزيراً للبنى التحتية والمستوطنات، فاستحوذ على نصيب الأسد من الموازنات لصالح إنشاء المزيد منها وقاد حملة جلب المستوطنين من أوروبا وأمريكا اللاتينية.

● اليوم يقف أمام وجه المستوطنين أنفسهم.. والذين يرفضون تفكيك المستوطنات رغم ما يقدم لهم من إغراءات وهو يعرف أن بقاءهم يعني المزيد من الاستنزاف ووضع مستقبل أمن إسرائيل في مهب الريح، وهكذا فإن الأطماع ونزعة الهيمنة وضعت إسرائيل في شر أعمالها .

ALariky @ Maktoob. Com

(العجز) العابر للقارات

ابراهيم بن عبدالله المعمري ●

■.. في يوم واحد قرأت أمس خبرين بوجهين لعملة واحدة، الأول عن عزم إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الإعلان اليوم عن سعيها للحصول على ٨٠ مليار دولار كتمويل إضافي للعمليات العسكرية في العراق وأفغانستان خلال العام الجاري، والخبر الثاني إن الإدارة نفسها تعاني من عجز ضخم في الميزانية والميزان التجاري حيث وعد جون سنو وزير الخزانة الامريكي بالتزامه بخفض هذا العجز.. ولكن حتى لو خفضه سيبقى العجز الأكبر في التاريخ الأمريكي في العقود الأخيرة.

بسبب الحرب في العراق التي أصبح من المؤكد أنها لن تنتهي بسلام قريبا صرفت الولايات المتحدة مئات المليارات ساهمت في ارتفاع العجز بموازنتها حيث كنا نعتقد انه لا يمكن أن يطالها مثل هذا العجز لأنها موازنة الدولة الأكبر في عالم اليوم.. ويدها طائلة لفعل كل شيء لجعلها بفائض.. لكن تصورنا أحيانا يصاب بثقب يطال قناعاتنا التي تشكلت من كلمات طائرة عبر وسائل الإعلام.

بعيدا عن الميزانية وعجوزتها فالإعلان الأمريكي عن زيادة الانفاق العسكري وارتفاع العجز في الميزانية يذكرنا بسنوات خلت، حينما عانت المنطقة من نفس الحديث أثناء حرب الخليج الثانية.. والثالثة وبعض الأولى.. حيث بدأنا نعرف معنى مصطلحات نسمع عنها لأول مرة مثل العجز في الموازنة وسياسة شد الحزام وتقليل الانفاق والتقشف، فالحرب فعلت فعلتها على مدى أكثر من عقد ونصف.

أما اليوم نسمع نفس الحديث ولكن من جهة بعيدة جدا عنا، فقد امتد إلى ما وراء البحار. وأصبح الأمريكيون هم أيضا يعانون من العجز الضخم، وسوف يعانون أكثر إذا لم تتحرك بلادهم كما يؤكد وزير الخزانة الذي حذر "من أن عدم التحرك في هذا الاتجاه سيفضي اما الى زيادة كبيرة في الضرائب او تعديلات رئيسية في الامتيازات".

ومثل كثير من المراقبين أتوقع ان الحرب في افغانستان والعراق ضربت بسيف بتار الاقتصاد ليس في المنطقة بل حتى في الولايات المتحدة.

لن ينجو أحد منها مهما قيل من كلام عن الرابح والخاسر فيها.. الجميع خاسرون!

● رئيس تحرير صحيفة عمان